

مسيحيو سوريا والعراق: ليست هذه أوطاننا!

لبنان في نظرهم «بلد مسيحي». لكنهم في نظر مسيحييه «مجرد لاجئين بسبب غياب الوعي المشرقي لدى هؤلاء». «الحلم اللبناني» لمسيحيي سوريا والعراق مجرد محطة وبوابة عبور الى حيث يقيمون بعيداً

ليا القرني

الأصوات مُرتفعة داخل «النادي» التابع للرابطة السريانية في منطقة الجديدة، التسمية لا تعكس طبيعة المكان، فـ«النادي» عبارة عن «قهوة» يجتمع فيها تازجون عراقيون وسوريون، سريانياً وأشوريين وكلداناً. صور قديسين تغطي الجدران ونسخ من الكتاب المقدس على رفوف المكتبة الخشبية المتواضعة.

هنا لا وجود للجنس اللطيف. كهول يتوزعون على طاوولات معظمهم «يقتل» الوقت بـ«لعب الورق». عبود كارزو، مسؤول «النادي»، قدم من الحسكة الى لبنان مع ابنه، قبل ثلاث سنوات، فيما هاجر بقية أفراد الأسرة الى كندا. يقول: «الأغلبية هنا أتوا من الحسكة ومن الجزيرة وحبلى. لا توجد إحصاءات، لكن الأرقام كبيرة. هناك نحو 5000 عائلة». لبنان بالنسبة الى النازحين السوريين «مجرد محطة لأن هذا البلد لا يريدنا. التقت العماد ميشال عون وسالته: هل هكذا يُعامل السوريون؟ معقول هيك؟ الحفاظ على المسيحيين، إذا وجدت النية، يبدأ من هنا».

كارزو على يقين بـ«أننا هُجرنا من بلادنا لأننا مع الرئيس بشار

الأسد. مو مجاملة، بس كنا مرتاحين ومحسودين. وهذا سبب حقد الجماعات الإرهابية علينا». يؤكد: «أريد العودة الى سوريا. أملك تاريخاً يعود الى مئات السنين. كل شيء تحت الأرض (الحضارة) ملكي، وأخاف كثيراً أن لا يعود أولادي»، لكنه يلفت الى أن قرار البقاء «صعب. إذا أردت أن أطلب من أحد البقاء فيجب أن أؤمن له مقومات الصمود». يعقب «أبو حنا»، الحائق على كل شيء، عاتباً على رجال الدين: «يقفون ضد الهجرة؟ نحن معهم، ولكن فليحمونا على الأقل. أين نبقى؟». ويضيف: «هربت من سوريا، ولما رأيت البحر توقفت. لكن هذا بلد محسوبيات. أنا لذي معارفي، لذلك تمكنت من تدبير

أموري، لكن الله يعين غيري». لا أرقام دقيقة لعدد النازحين المسيحيين من سوريا والعراق. إحصاءات الرابطة السريانية تشير الى 1500 عائلة سورية و1500 عراقية. كل شيء سرياني في مكتب رئيس الرابطة حبيب افرام، بدءاً من



حبيب افرام: العقل الماروني لا يملك فكراً مشرقياً



أغلب النازحين يعتمدون لبنان محطة عبور (هيلم الموسوي)



علبة المحارم والكؤوس: «لتأكيد الهوية نلجأ الى التفاصيل». يقول افرام: «المسيحيون في الشرق هم ضحايا في منطقة أقوياء. ضحايا لأن المنطقة لا تقبل التنوع». يُفرق بين هؤلاء وبين مسيحيي لبنان الذين «رغم كل ما مروا به لديهم حرية مدنية، وهذا يعني أن لا حل في المنطقة إلا وفقاً للنموذج اللبناني». يؤكد أنه «لم يبق أحد في سهل نينوى. لا يملك المسيحيون القوة لحماية أنفسهم. أغلب المغادرين فقدوا الثقة بمحيطهم». مرّ على لبنان منذ عام 2003 (أكثر من 15 ألف عراقي، أغلبهم يعتمد لبنان محطة عبور) الى الواجهة الأخيرة: السويد، ألمانيا، الولايات المتحدة، أستراليا وكندا. السبب أن

«مشاكل لبنان كثيرة، ولم يستطع أن يُشكل بيئة حاضنة لهم بسبب هشاشة تركيبته». السبب الثاني، والأساسي، هو أن «العقل الماروني لا يملك، للأسف، فكراً مشرقياً. لا يوجد وعي مشرقى لدى الموارنة. لا ينظر الماروني الى الأشوري من نينوى، مثلاً، كمكسب استراتيجي له». لذلك، هذا الملف «ربما يكون الرقم 101 في أجندات الأحزاب السياسية»، ويقول غاضباً: «المسيحية ليست فقط في كسروان فقط. لا يجب تحجيم قضيتنا». مشيراً الى أن «واقع المسيحيين المشرقيين اليم: نحن أيتام هذا الشرق، ولا نملك أصدقاء بالمفهوم السياسي». كما أن هذا الملف ليس على أجندة أي من الدول «رغم أننا طلبنا من الروس أن يحولوا المسيحيين في الشرق الى مشروع استراتيجي من أجل حمايتهم».

تقدّم الرابطة السريانية المساعدة للاجئين أثناء «مرورهم» في لبنان «قدر الإمكان». الى النادي، هناك مستشفى شبه مجاني. مشاكل القادمين هي، أساساً، الحصول

على سند إقامة، إيجاد مكان للسكن وتأمين الطبابة والدراسة. «نحن نداوي بعض الجراحات وبعض آثار الأزمة الكبيرة»، يضيف افرام. إمكانات الرابطة المادية ضعيفة والعديد من القادمين لا يلجأون إليها إلا عندما تعترضهم مشكلة ما «فنحن أقوياء مع الدولة والأمن العام»، كما أن أبرشيات ومُنظمات أخرى تحاول العمل مع اللاجئين.

رغم ذلك، هناك مأس يومية (ونجد أنفسنا عاجزين عن إعطاء الأمل لأبناء نينوى)، لكن المثل يقول «لا تمت قبل أن ياتيك الموت». الصمود، استناداً الى افرام، هو أن يبقى المسيحيون «في العراق وفي سوريا، وإذا استلزم الأمر أن يكون النزوح داخلياً».

أحد خُدام أبرشية طرابلس الأب السوري السرياني سمير حجار، يرى أنه «كان من المفترض أن لا يترك المسيحيون بلادهم. كان واجباً عليهم أن يشكلوا كفاحاً مسلحاً، لكنهم هربوا من القتل والغنف». الأيونات (بعيد) رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع لأنه «أسس ميليشيا ليدافع عن المسيحيين». ويأسف لأن الأبرشية ليس لديها مساعدات تُقدمها: «تصل هبات من الكنائس في الخارج، ولكن ما حدا بشوف شي».

في النادي، يفوق عدد العراقيين عدد السوريين. تتقاطع الخبرات. عصام وصل منذ شهرين من إحدى بلدات سهل نينوى «الخيار كان لبنان لأنه بلد عربي ومسيحي». بيد أنه لن يستقر فيه. 25 أسرة من أقرابه هاجروا الى أستراليا وكندا «ما ضل مسيحي. كيف سندافع عن أرضنا؟ بالخشبة؟».

بات المسيحي المشرقي «يفكر اليوم برجليه، أي بالخروج من بلاده والهجرة. لم نعد هذه الأوطان التي نعرفها»، يختم افرام.

تقرير

الوادي على موعد مع «السيد»: الحجير مسرحاً للمقاومة

من التحضيرات للاحتفال (الاحبار)



بعدها جاءت ميركافا - 2 في عام 1983، التي صممها العدو لتتناسب الطبيعة اللبنانية ثم ميركافا - 3 لاقتحام المدن الفلسطينية المكتظة، وبعدها الميركافا - 4 الأكثر تطوراً والتي دمر أكثر من 50 منها في وادي الحجير، لتنتهي معها حرب تموز بانتصار المقاومة وهزيمة العدو».

يذكر أن وادي الحجير تحوّل بعد التحرير عام 2000 الى موقع عسكري استراتيجي للمقاومة، وكان أثناء حرب تموز المكان العسكري الرئيسي الذي استخدم لإطلاق صواريخ الكاتيوشا على مواقع العدو ومستعمراته. وبعد الحرب فتحت طريق الوادي أمام الناس، ليكشف الغطاء عن أجمل الأماكن الطبيعية الخضراء في جنوب لبنان، الذي كان بعيداً، بسبب الاحتلال، عن أعين الجنوبيين المقيمين طوال أكثر من ثلاثين سنة. فهو المكان الوحيد، اليوم، المغطى بأشجار السنديان والبطم والصنوبر والخروب، في منطقة تكاد تخلو من الأجرع الطبيعية، كذلك كشف الغطاء عن مطاحن الحجير الثماني التي تحكي قصة أجيال من المزارعين الجنوبيين، الذين قرروا حمل السلاح ضد الاستعمار والاحتلال..



الاحتفال سيتضمن مشهديات حية تجسد إرادة المقاومة



أحد المشاركين في العملية.

ويقول دقماق إن اختيار هذا المكان كان لاعتبارات ثلاثة: «أولها تاريخي يتعلق بأهمية الوادي التاريخية في مقاومة الاحتلال، انطلاقاً من مؤتمر الحجير عام 1920 الذي اجتمعت فيه وجوه جنوبية مقاومة قررت بجرأة التصدي للاحتلال، والثاني أن هذا الوادي كان معبراً ومنطلقاً للمقاومة اللبنانية والفلسطينية وبعدها الإسلامية لشن عملياتها على جيش العدو وعملائه في أكثر من 15 موقع في الشريط الحدودي السابق، والثالثة أنه في هذا الوادي تحطمت أسطورة دبابة الميركافا التي بدأ العدو باستخدام نموذجها الأول عام 1979 وغزا فيها لبنان عام 1982،

المقاومة واقعياً وميدانياً»، بحسب ما يؤكد مسؤول إعلام الجنوب في حزب الله الشيخ حيدر دقماق. جُهرّ السوادي بما يلزم للحدث ولاستيعاب آلاف المواطنين، ونُصبت شاشة عملاقة وضعت قريبا دبابتان من مخلفات الاحتلال، وبقياً دبابة ميركافا تركها العدو بعد فرار جنوده واعترافه بأنه خسر في الوادي 33 جندياً بينهم ضباط وقادة سرايا وفرق ومدركات وبوقوع مئات الجرحى والمصابين، وبتدمير ما يقارب خمسين دبابة ميركافا، فضلاً عن الجرافات العسكرية.

وبعد أن تأكد خبراء المتفجرات في المقاومة من خلوه المكان من القنابل العنقودية التي خلفها العدو أثناء حرب تموز، عمل المنظمون على توفير مواقف سيارات بعيدة عن مكان الاحتفال مع توفير وسائل نقل للمشاركين. واختير المكان بعناية، لناحية مساحته الكبيرة القريبة من الأجرع الخضراء، ومن وادي السلوقي المعروف بأهميته العسكرية قبل التحرير، والذي استشهد فيه 45 شهيداً، منهم ثلاثة في مكان الاحتفال، بعد أن تصدوا لـ«كومانيدوس» إسرائيلي عام 1986 وأوقعوا جميع عناصره بين قتيل وجريح، بحسب

داني الامين

في 31 آب 2006، اغمض علي صالح، ابن بلدة عدشيت - القصير، والمعروف باسمه العسكري «بلال»، عينيه لآخر مرة، بعد أيام على إصابته في معركة وادي الحجير، من صاروخ أطلق من طائرة استطلاع اسرائيلية. «استشهد بلال، مرتاح البال، فور علمه بأن المقاومة حققت النصر كاملاً في تموز 2006». استشهد قاهر دبابت الميركافا الاسرائيلية، بعد أن دمر 15 منها في آخر يوم من عمله الجهادي، وهو المعروف بأنه أول وأفضل من استخدم صواريخ «كورنيت» في وجه العدو الاسرائيلي.

بعد تسع سنوات على استشهاده، وفي ذكرى الانتصار في تموز، يوم الجمعة المقبل، سيطل السيد حسن نصرالله قريباً من المكان الذي أطلق منه بلال صاروخه على الميركافا. سيتحدث عن بلال ورفاقه وعن أهمية هذا «الوادي المقدس» في قهر الغزاة والمستعمرين، بعد عرض فيلم توثيقي عن دور الوادي في عمل المقاومة منذ انطلاقتها ضد الاحتلال الفرنسي، إضافة إلى مفاجأة جديدة، هي عبارة عن «مشهديات حية لم يعرض مثلها سابقاً تجسد إرادة